شواهد العمارة التقليدية في الأمثال الشعبية بمنطقة نجد

د. مساعد بن عبدالله السدحان
قسم العمارة وعلوم البناء - كلية العمارة والتخطيط - جامعة الملك سعود

يعد التراث المعماري والعمراني من الأعمال التي ورثها الخلف عن السلف سواءً أكانت أعمالاً فردية أم جماعية، ويظهر ذلك في صورة بيئة عمرانية متكاملة تمثلها شبكات الطرق المختلفة والمباني والأعمال الحرفية والزخارف. كما تمثلها مواد البناء وأشكالها وطرائق التخطيط والتشييد(١). وقد اعتمدت مجموعة كبيرة من دراسات التراث المعماري والعمراني على الزيارات الميدانية والرفوعات المساحية، ومصادر أخرى ثقافية وثائقية وتاريخية تمكن الباحثين من سبر أغوار الماضي وكشف تاريخه.

ومن ضمن المصادر التي حفظت لنا التراث الشعبي "المثل الشعبي" إذ هو ألصق أنواع الأدب الشعبي بالناس، وأقربها إلى عقولهم، لأنه عطاء شفهي - في جمل قصيرة يسهل حفظها - وإنتاج شعبي يتصل بالممارسة والمشاهدة اليومية، ويجمع بين المعروف والمألوف والمتعارف عليه، كما أنه يعرض الحقائق والأحكام بكل وضوح وواقعية(٢). وتعد الأمثال مادة غنية للبحث، وتكمن فيها - إلى حد كبير - صور أصيلة عن واقع الناس وثقافاتهم وعاداتهم.

---

(١) فتحي، حسن. "العمارة الإسلامية والتعبير الحضاري الأصيل في المدينة العربية المعاصرة"، ندوة المدن العربية. الرياض: المعهد العربي لإنماء المدن، ١٤٠١هـ.

(٢) ناضر، زكي. أمثالنا العامية - مدخل إلى دراسة الذهنية الشعبية. لبنان: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

ولقد كان من أبرز الذين دونوا الأمثال الشعبية لمنطقة نجد (محمد العبودي) في كتابه "الأمثال العامية في نجد" المطبوع عام ١٣٧٩هـ، واحتوى على ألف مثل. ثم في عام ١٣٨٣هـ صدرت الطبعة الأولى من كتاب "الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب" الذي جمع فيه مؤلفه (عبدالكريم الجهيمان) ما يقرب من ثلاثة آلاف مثل. ثم أضاف كلا المؤلفين على كتابيهما مزيداً من الأمثال، وصدرت الطبعة الثانية لكل منهما في عام ١٣٩٩هـ. فجاء كتاب "الأمثال الشعبية في نجد" للعبودي في خمسة أجزاء، واشتمل على ثلاثة آلاف مثل(٣)، واحتوت الطبعة الثانية لكتاب "الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب" للجهيمان على عشرة آلاف مثل موزعةً في عشرة أجزاء(٤). وفي عام ١٤١٠هـ أصدر عبدالله العيسى كتابه "المختار من أمثالنا الشعبية" في ثلاثة أجزاء(٥).

ولقد ركز كتاب العبودي على تأصيل الأمثال الشعبية التي دونها والاعتماد على شواهد الفصحى والأشعار والقصص، كما أن رحلاته ومطالعاته أتاحت له ذكر ما يماثل تلك الأمثال من أمثال شعبية لدى العرب الآخرين في بلدانهم في مصر والسودان وسوريا، أما الجهيمان فقد ركز على الجمع مع الشرح وتسجيل شواهد الأمثال من الشعر الشعبي. ونحا العيسى المنحى نفسه، وذكر أن مجموعته لا تضم جميع الأمثال التي عرفها، وإنما اختار ما رآه مناسباً.

ولقد جاء الترتيب الرئيس للأمثال في الكتب الثلاثة بحسب تسلسل الحروف الأبجدية، وقدم كل من العبودي والجهيمان فهرسة

---

(٣) العبودي، محمد بن ناصر. الأمثال العامية في نجد. خمسة أجزاء. الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٩هـ.

(٤) الجهيمان، عبدالكريم. الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب. عشرة أجزاء. بيروت لبنان: دار الثقافة ودار أشبال العرب: الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

(٥) العيسى، عبدالله عبدالرحمن. المختار من أمثالنا الشعبية. ثلاثة أجزاء، الرياض: المؤلف، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

خاصة لموضوعات الأمثال في الجزء الأخير من موسوعتيهما مع اختلاف في مسميات موضوعات كل منهما. فمثلاً جاء فهرس العبودي مبتدئا بموضوع: الأب والأم، وأعقبه بابتداء الأمر، الإبل، الاجتماع والفرقة...، أما فهرس الجهيمان الذي جاء لبعض الأمثال التي سجلها، فجاء تسلسله كما يأتي: في الأمور يرتبط بعضها ببعض، في الجنون وشبه الجنون والعقل، في الحيوانات... أما العيسى فاكتفى بالترتيب الأبجدي، وأضاف جدولاً يبين فصول السنة، وما يقابلها من الأشهر الميلادية والبروج الشمسية، وأسماء الأنواء والنجوم وبعض خصائصها.

هدف الدراسة و منهجها

حاولت هذه الدراسة أن تستخرج جميع ما يتعلق بالعمارة والعمران مما دون في تلك المراجع، وتضيف عليه ما أمكن الحصول عليه من أمثال وشروحات من أفواه الرواة المعمرين. وقد قام الباحث بقراءة ومراجعة جميع الأمثال التي وردت في المصادر التي بلغت أكثر من خمسة عشر ألف مثل، واستخلاص الأمثال ذات العلاقة بموضوع الدراسة.

تأتي أهمية الدراسة في استلهامها للتاريخ الشعبي؛ إذ إن "من بين ما انزوى من مجتمعنا، عادات وتقاليد، ووسائل وحرف ومظاهر في جوانب من جوانب الحياة المختلفة. اختفت هذه، وامحى ما كان معها من لوازمها، وهذه طعنة نجلاء لحضارتنا، فالأمة العريقة هي التي تبقي من الصلات الوثيقة بين ماضيها وحاضرها ما يجعل الضوء متصلاً بين الماضي والحاضر، ولا يكون هناك ثغرة تقطع هذا الاتصال والتواصل؛ لأنه لا يعرف متى تأتي الحاجة للالتفات إلى الخلف"(٦).

---

(٦) المانع، عبدالرحمن بن عبدالعزيز. معجم الكلمات الشعبية في نجد: منطقة الوشم، مقدمة الكتاب للدكتور عبدالعزيز الخويطر. الرياض: المؤلف، ١٤١٨هـ، ص ١٢-١٣.

وبالنظر لكون الأمثال الشعبية من المصادر المهمة للتاريخ الشفهي، إذ هي سجل لثقافة أفراد المجتمع وتاريخهم وعاداتهم وأحلامهم وتطلعاتهم التي يرددونها، فإن ذلك السجل يضم وصفاً لبيئة الإنسان الإنسانية والمادية. وما يهمنا - هنا - هو اشتمال الأمثال على وصف خصائص البيئة المادية ممثلة في العمارة التقليدية. ولن تستقصي الدراسة المغزى من تلك الأمثال، ومتى تقال؛ لأن ذلك ليس هدفها، بل ستحاول الحصول على تصور عن الحرف والعمارة التقليدية شاهدها في ذلك الأمثال الشعبية، إذ من المتوقع أن تحوي الأمثال العامية - والتي عادةً ما تقدم حكمة اجتماعية أو نصيحة - كلمات وإشارات لمفاهيم أو عناصر معمارية تعرض في صورة حسية استعملت في تلك الأمثال؛ لتكون أقرب إلى الأذهان، وأدعى للاستيعاب. وقد تم إدراج ملحق كامل بمراجع الأمثال الواردة في هذه الدراسة مع أرقام تلك الأمثال وأرقام الصفحات التي وردت فيها.

الأمثال الشعبية من المصادر المهمة للتاريخ الشفهي، إذ هي سجل لثقافة أفراد المجتمع وتاريخهم وعاداتهم وأحلامهم وتطلعاتهم

ولهذا فإن هذه الدراسة تقدم بعداً آخر في تفهم عناصر المسكن وتفاصيله، وتصويراً للعمارة التقليدية من خلال دراسة تحليلية لها - بالاستفادة من الخلفية الهندسية للباحث - عن طريق تتبع تلك الأمثال الشعبية الموروثة من الأجداد الذين شيدوا وسكنوا المباني التي يطلق عليها اصطلاحا (مبان تقليدية) والتي يعد استعمال الطين فيها أهم الملامح الرئيسة لها. وتبرز أهمية الدراسة في محاولة لعمل قفزة نوعية في مجال دراسة التراث الشعبي بحيث يستدل بالأمثال الشعبية للتعرف على التراث الحرفي والمعماري التقليدي في منطقة نجد.

وعندما بدأت في التفكير بعمل هذه الدراسة وأخذ رأي بعض الزملاء، رأى البعض أن الموضوع وإسهامه في دراسة التراث المعماري والعمراني سيكون جيداً، لكنهم تخوفوا من كون المادة الرئيسة

(الأمثال) ذات العلاقة محدودة جداً لا تكفي لإخراج الدراسة، وبحمد الله فقد بلغ مجموع الأمثال العامية في هذه الدراسة أكثر من مئة مثل في العمارة والعمران، وتم استخراجها من كتب الأمثال العامية التي جاء ذكرها آنفاً، ومن أفواه الرواة، وأسهمت في تقديم صورة للعمارة التقليدية في نجد بصورة جديدة لم يسبق - على حد علمي - تقديمها من قبل، وحصرها لتكوّن رؤية واضحة المعالم في إطارٍ واحد.

تقدم الدراسة أمثلة لبعض المفاهيم في العمارة والعمران كالآتي:

١ - الإنشاء المعماري (Structure).

٢ - التصميم المعماري (Architectural Design).

٣ - التخطيط العمراني (Urban Planning).

٤ - الجودة في التنفيذ (Quality Control).

كما تقدم أمثلة على مفاهيم ارتبطت بالتصميم المعماري لعناصر المدينة التقليدية مثل:

٥ - المساجد.

٦ - المساكن.

١ - مفاهيم في الإنشاء المعماري (Structure)

يعد الجانب الإنشائي محوراً مهماً وركيزة أساسية في تصميم المشاريع وتنفيذها في العصر الحاضر، ولقد كان كذلك في العمارة التقليدية، حيث اشتركت طائفة كبيرة من الأمثال الشعبية في تأكيد ذلك ابتداءً من خواص التربة؛ إذ إن التربة الرملية لا تصلح للتأسيس مثل: "مِثلّ اللّي يَبْني عَلَى الرَّمِلّ"، وفي الشعر الشعبي(٧):

مثل بانٍ بنى فوق تل الرمال   ما له أصل سلوب الثرى تَقعره

---

(٧) الحمدان، محمد بن عبدالله. ديوان حميدان الشويعر. الرياض: دار قيس، ١٤٠٩هـ، ص ٣٥.

ولقد أكدت المفاهيم الإنشائية لديهم أن التربة القوية (العزا) هي الأفضل والأصلح للتأسيس، مثل "بَان على عَزَا"، وبدون التأسيس يسقط المبنى: "مَبْنًى عَلَى غَيْر سَاس لاَ بدَّهْ يطيحْ". وبالتالي فإن الحجر هو المفضل، إذ إن الحَجَرةَ (الحصاةَ) المنَاسبَة هي تلك القوية الثقيلة المتماسكة: "حَصَاة رْزاحْ مَا تَنْشَال وَلاَ تِنْزَاحْ"، وتبرز قساوة الصخر (الصفا) عندما يصبح من الصعب كسره: "الْفَاسْ يَعَرْف الصَّفَا"، إذ هو صلدٌ قاس، ومحاولات كسره بالضرب عليه لا تنجح: "يَضْرب بْصفَا"، وإذا وجد أحدهم تعثراً وصعوبةً في عمل يعمله يقول: "مَسْحَاتِي مَا قِدَّامْهاَ طِينْ". فأمام آلة الحفر (المسحاة) التي يحفر بها أرض صلدة كالصفا مثلاً، وليست طينيةً يسهل الحفر بها. ولأن الصفا غيرُ لينٍ فإنه يؤذي الإبل عند البروك عليه: "ما عَلَى الصُّفَا مَبارِكْ".

ولكنهم استطاعوا التعامل مع الأحجار باستخدامها كما هي أو بقطعها من الجبال، ومن ثم نحتها وتشذيبها وتهذيبها. وتعددت أنواع الحجارة لديهم بحسب استخدامها، فهناك أحجار الأساسات شكل (١)، الأحجار المستخدمة في تعديل المستويات من الكبير إلى الصغير ومن الصغير إلى الكبير، الأحجار المستخدمة في التسقيف، الأحجار المستخدمة في أعتاب الدرج والأبواب والنوافذ، أحجار الأعمدة، أحجار القنايع، أحجار الكَمَرَات(٨). إضافة إلى الأحجار التي تنحت، ويعمل منها أواني حفظ الماء (مناحيز ونقاير) وغيرها.

كما أن طبوغرافية الموقع يجب أن تؤخذ في الاهتمام عند التأسيس فإن: "اللّي عَلَىَ جْرَيّف ينْهَدْ". وتستعمل الحوائط في المباني وتؤدي دوراً إنشائيا، إذ تقوم بنقلٍ الأحمال من السقف إلى القواعد، ولهذا فهي لابد وأن تكون قوية تتحمل حتى تلك الأحمال الجانبية، وتكون مثلاً في القوة: "فْلاَنْ يرَامِحْ الجدْرَانْ". وفي المقابل فإن

---

(٨) الشويش، سعود فهد. مساجد أثرية من وسط نجد - دراسة أثرية معمارية. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الملك سعود، ١٤١٥هـ، ص ٢٥٩-٢٦٤.

الجدار الضعيف إنشائياً قد ينهار فجأة: "طَاح طَيْحِة جْدَارْ"، وقد استعمل حميدان الشويعر في قصيدته الاعتذارية هذا المثل(٩):

ياشيخ اقبل عِذر من جاك طايح   إلى الله ثم إليك والكفّ يابسه
وأنا طايح طيحة جدارٍ متساند   رفيع البنا ما توحي إلاّ تقايسه

وحتى يصمد الجدار فلابد من تدعيمه ومناسبة عرضه لارتفاعه، إذ إن الجدار المرتفع يكون عُرضة للرياح التي قد تسقطه (تجدعه): "الْهَوَا يْجَدّعِ الجدران". ويمكن معرفة العيوب الإنشائية للجدار بظهور التصدعات؛ ولذلك قالوا: "لاَ تَنَمْ فِي ظْلاَلٍ العِيِّب في جْدَارَه".

شكل رقم (١)

تفصيلة توضح: قاعدة العمود الإنشائي، العمود، طبقات السقف للمبنى التقليدي(١٠)

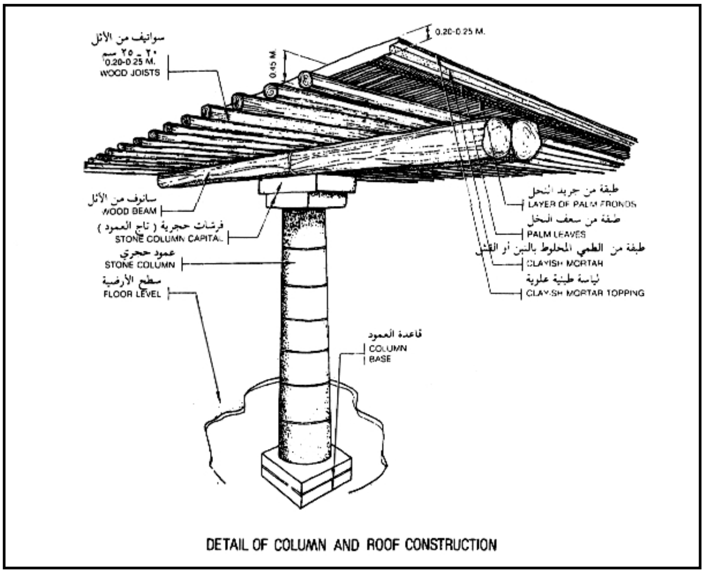
سواتيف من الأثل
٢٠ ـ ٢٥ سم
0.20-0.25 M.
WOOD JOISTS
0.45 M.
0.20-0.25 M.
سانوف من الأثل
WOOD BEAM
فرشات حجرية (تاج العمود)
STONE COLUMN CAPITAL
عمود حجري
STONE COLUMN
سطح الأرضية
FLOOR LEVEL
طبقة من جريد النخل
LAYER OF PALM FRONDS
طبقة من سعف النخل
PALM LEAVES
طبقة من الطمي المخلوط بالتبن أو القش
CLAYISH MORTAR
لياسة طينية علوية
CLAYISH MORTAR TOPPING
قاعدة العمود
COLUMN BASE
DETAIL OF COLUMN AND ROOF CONSTRUCTION

---

(٩) الفوزان، عبدالله ناصر. صحافة نجد المثيرة في القرن الثاني عشر. الرياض: المؤلف، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(١٠) آثار الدرعية، تفصيلة العمود والسقف. الرياض: الإدارة العامة للآثار والمتاحف، دون تاريخ.

ومع استعمال الحوائط الحاملة لتقوم مقام الأعمدة إلاّ أن الحاجة إلى فراغات كبيرة ومفتوحة على بعضها البعض كما في المساجد استدعى بناء الأعمدة المنفصلة بالحجر: "فْلاَنْ سَارِيْة مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدْ". ونظراً للحاجة إلى البحور الطويلة نسبياً فَي التَسقيفَ، ولأن الَخشب هو المادة الرئيسة لتشكيل الكمرات لتغطية السقف فإن طول جذع الخشب من شجر الأثل أو ما شابهه مزية مرغوبة "الطُّولْ عِزّ وَلوْ فِي الْخَشَبْ".

أما أخشاب القصب فإنها ليست طويلة كما أنها ضعيفة، ولهذا قالوا لمن يبيّت المكر والخديعة لشخص آخر ليوقعه بأنه: "طَامّ لِهْ عَلَى قَصَبْ"؛ أي بنى له بيتاً ولكنه غطاه (طَمّهُ) بالقصب الذي يهوي بمن وضع عليه قدمه.

٢- مفاهيم في التصميم المعماري (Architectural Design)

يعد توفير الحماية للساكن ولمن استجار به الأولوية الأولى: "قَصْر مَا لَهْ ظْلاَلْ جِعْلِهْ يَنْهَدِمْ"، وقصدوا بالظلال هنا العزة والمنعة قال الشاعر(١١):

لعل قصر ما يجي له ظلال   ينهد من عالي مبانيه للساس
لا خاب ظني بالقريب الموالي   ما لي مشاريه على نايد الناس

والجدار يجب أن يكون عالياً للحماية وإلا فقد يُقفَزُ عليه: "جْدَار قصيرْ كلّ يَطمْرَه"، وقالوا: "فْلاَنْ جْدَار قْصَيّرْ"، ومن المفاهيم في تصميم المسكن أن كبر الأعلى (السطْح) يدل على كبر الأسفل (المجبب): "مَا كبرْ سَطْحِهْ كبرْ مجَبَّهْ".

وللمناخ وتقلباته اعتباراته التصميمية حيث يرون وجوب التعامل مع الشمس وحركتها خلال الفصول، ويمكن أن يتم ذلك بمعالجات معمارية

---

(١١) السديري، محمد الأحمد. الأزهار النادية من أشعار البادية. الطائف: مكتبة المعارف، ١٣٨٠هـ، ص ٣٠.

ثابتة، كما يمكن أن يكون بصورة مؤقتة. فمثلاً نهوا أن يجعل الإنسان ظلّه يقع على غيره ممن يجلس أماماً الشمس في الشتاء طلباً للدفء، ونعتوا من يفعل ذلك بأنه مجنون (مهبول): "اللّي يْظَلّلْ بالشّتَاء مْهَبُول".

ونظراً لأهمية الماء وارتباطه الوثيق بالمبنى وعناصره وما جاوره، فإن ضعف العزل المائي للأسقف من الظواهر التي انتشرت عندهم، وعدوها من المنغصات التي تضايق صاحب المنزل خصوصاً في فصل الشتاء وشدة البرد ونزول المطر، فقالوا: "كلٍّ عَلَيه مِن الزَمانْ واكِفْ"، والواكف: هو المكان الذي يتسرب منه الماء والمطر في السقف. ولهذا حرصوا على معرفة أساسيات التصميم والتعامل مع الماء؛ فمثلاً تصميم بركة الماء للسقيا يجب أن يعتمد على أساسيات في طبيعة السوائل، فلا يمكن لبركة الماء أن تجمعه إذا كان النقص عن طريق المجرى (الساروب) يوازي الزيادة: "مَا تِمتِلي وَالنَّقْص فِي سَارُوبْهَا".

كما أن ظهور الماء في أسفل الحائط وفي ظهر الأرض (النَّزٌّ) إنما هو بسبب دفع الماء، فقالوا: "النَّزّ مْنَ الدَّزّ". وبسبب اختلاف مناسيب الأراضي؛ فإن الحفرة (الجفرة) المنخفضة (الطامنة) لا تجف (تيبس) من الماء؛ لأن من أساسيات هيدرولوجيا المياه وطرق التصريف أن تتجه للمناطق المنخفضة وتتجمع فيها، ولذلك قالوا: "الجفْرةْ الطَّامْنهْ مَا يِيبَس ثَرَاها".

٣- مفاهيم في التخطيط العمراني (Urban Planning)

يُعد إنشاء المدن من مقومات الحضارة، ولقد ظهرت في نجد العديد من المدن والقرى كما ذكر المؤرخون، مما يشير إلى وجود الفكر التخطيطي الحضري، وظهر ذلك في إنشاء وبناء بعض المدن مثل: تعمير الدرعية كان في عام ٨٥٠هـ من قبل مانع المريدي (جد آل سعود)، وشراء بلدة العيينة وعمرانها من قبل حسن بن طوق - جد آل معمر - من بني حنيفة ونزوله بها، وعمران بلدة التويم بعد انتقال مدلج بن حسين الوائلي إليها عام ٧٠٠هـ، وبناء بلدة حرمة من قبل

إبراهيم بن حسين بن مدلج عام ٧٧٠هـ، وتعمير بلدة المجمعة عام ٨٢٠هـ من قبل عبدالله الشمري ومن سكنها بعده(١٢).

وتلتحم المباني في الأحياء التقليدية لتلك المدن مع بعضها بغرض الاستفادة من المبنيين اللذين يفصل بينهما شارع، وذلك بتسقيف بعض المساحات بين المباني وفوق الطريق مع إمكانية مرور الأفراد والدواب تحتها، ليصبح ذلك ظاهرة تخطيطية في معظم بلدان المنطقة (شكل٢)، حيث تتشكل تلك الممرات المسقوفة "مجابيب" التي عادةً ما يكون مستوى الإضاءة تحتها أقل منه في الممرات الأخرى ويصِفون من يجترئ على الأمور بقولهم: "فْلاَن بْعِيرْ مجَابيبْ".

شكل رقم (٢)

مخطط لمدينة الرياض القديمة يتضح فيها شبكات الطرق الرئيسية والفرعية، كما تبين العناصر المكونة للمدينة التقليدية، مثل: المساجد والمساكن وغيرها(١٣)

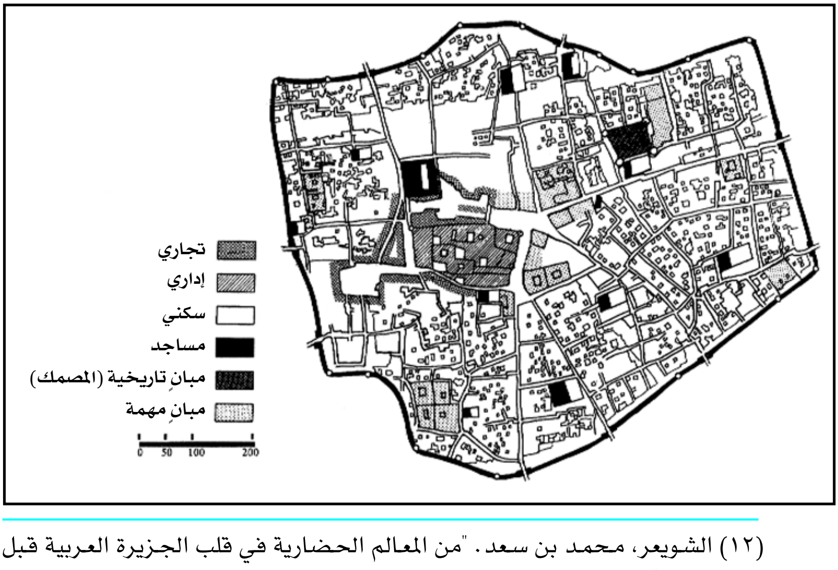

---

(١٢) الشويعر، محمد بن سعد. "من المعالم الحضارية في قلب الجزيرة العربية قبل ٢٥٠ عام". مجلة الدارة، ١٤١١هـ، السنة ١٦ العدد ٣ : دارة الملك عبدالعزيز، ص ٨-٣٥.

(١٣) الحصين، محمد بن عبدالرحمن. البنية العمرانية لمدينة الرياض في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري. الرياض: المؤلف، ١٤١٧هـ، ص ٧٠.

وليست المجابيب هي الوحيدة التي تميز شبكة الطرق في البلدة، إذ إن الطريق الضيقة (السكة) المسدودة تشكل تفريعات للطرق الرئيسية، حيث تخدم مجموعة محددة من المنازل وتصنف في التخطيط الحديث تحت اسم الأراضي شبه الخاصة(١٤) بحيث لا يستطيع الماشي أن يخرج منها إلى طريق آخر: "ضَارْب سِكّةٍ سَدّ". وجاء التخطيط باستعمال الطرق المسدودة ليخدم أغراضاً عدةً منها التقليل من التقاطعات في الطرقات؛ لأن التقاطعات تستوجب التمهل في الحركة، والانتباه؛ لئلا يصطدم المرء بآخر، أو بدابةٍ قد تخرج من ركن البناء (العاير)؛ ولهذا قالوا: "الْعايِرْ رَجَّالً". ومن مواصفات تلك الطرق خلوها من العوائق والعقبات فإنّ أي حجر (حَصَاة) في طريق (درب) المارة تؤذي وفي إزالتها راحةٌ لهم: "حَصَاةٍ زَلَّتْ عن دَرْب المسْلمِين". والأصل فيها أن تكون مستوية تناسب المارة لا أن تكون رخوةً كثيرة الشقوق (عَدَامهْ) أو ذات حفر أو جروف، وإلا فإن من يمشي فيها قد يقع في جرف قد يخرج منه إلى عَدَامةْ: "مِنْ جرْفٍ لعَدَامهْ". وقالوا: "مِنْ جرْفٍ لدحديرا"، والدحديرا: الأرض شديدة الانحدار. وشبهوا الكذاب بالذي يقفز (يطامر) في جريه إذا اعترضه جُرْفٌ أو عائق في الطريق: بأنه "يْطامِر الجرْفَانْ"، ويستمر في كذبه.

ومع تلاصق المباني مع بعضها وحصول فوائد اقتصادية ومناخية لأصحابها مع الالتزام بالضوابط التنظيمية إلاّ أن ذلك لم يخل من بعض السلبيات، مثل: التعدي على الجيران بالقفز، ولهذا قالوا: "خزِّ جْدَارِكْ، وْلاَ توذيَ جَارِكْ"؛ أي اجعل على جدارك الخزاز، وهو شجر ذو شوك يجعل على حوائط البيوت؛ ليمنع من يحاول التسور أو القفز، وفي هذا ربطٌ للبعد الأخلاقي، وتعامل ذكي مع أنظمة البناء وضوابطه تحتاج إليه المجتمعات في عصرنا الحاضر. ثم أنهم حثوا أن يتحلى

---

(١٤) طاشكندي، فرحات. ترشيد الإنفاق على مشاريع الإسكان. ندوة البحث عن البدائل للتمويل. جامعة الملك سعود، ١٤٠٧هـ.

صاحب المسكن بالخلق الحميد، وأن يقوم هو بعمل الاحتياطات، لا أن يطالب جاره بها، فقالوا: "طَوِّلْ جِدَارِكْ وَلاَ تِتِّهِمْ جَارَكْ".

٤- الجودة في التنفيذ (Quality Control)

تظهر الجودة بمفهومها الشامل بضبط جميع العناصر المشاركة في التنفيذ، وتشمل: الأدوات والمواد، وطرائق التصنيع، ومهارة اليد العاملة. ولقد أكدوا أهمية الجودة في عمارتهم، وما ارتبط بها، وسنأتي على شواهد من ذلك في أمثالهم الشعبية كالآتي:

أ - الأدوات والمواد:

تحتاج العمارة والعمران بمفهومها الشامل إلى أدوات متخصصة لتنفيذ الأعمال، ولهذا قاموا بتصنيع تلك الأدوات، فللحديد مثلاً: مقص الحديد (المفراص) "قَالْ: أَنَا مِفْرَاصْ الحْدِيدْ، قَالْ: أَنَا تِيكْ اللّي تْوقّعْ فَوْقْها"، يقصد بذلك المطرقة، و"فْلاَن مِفْرَاصْ مَاصْ"، والماص عندهم: معدن قوي (حديد مبرد) تقطع به المعادن الصلبة. ومهما يكن من صعوبة في المواد فإن التعامل معها ممكن بالأداة التي تناسبها، فكلبتا الحديد يمكن بها ضرب المسمار أو جذبه رغم كونه من الحديد (الجاز) أيضاً: "اضْرِبْ الجَاْزْ بالجَاْزْ".

ومن الضرورة أن تكون تلك الأدوات كاملة بمكوناتها، وصالحةً للاستعمال؛ فإن نقص من مكوناتها شيء قلت أو انعدمت فائدتها: "مِثِلْ المِسْحِاتْ بْلاَ حْرَانْ"، والمسحات: آلة الحفر، والحران: الحديدة التي يدخل فيها نصاب المسحاة من جهة، ويتصل بها ريشة المسحاة من الجهة الأخرى. وصلاح المسحاة تقتضي أن يستعملها من يعرفها ويستفيد منها، فالبدوي مثلاً غني عن الزراعة أو البنيان، "مِثل المسْحاَة مَعْ البْدُوْ".

ويدخل ضمن منظومة أدوات الحفر عندهم: الفاروع، وهو آلة من الحديد، وله جهتان مطروقتان: إحداهما أفقية، والأخرى معاكسة لها

في الاتجاه، وله نصاب من الخشب: "فَارُوع مَقْبَرَهْ"، ويستخدم للحفر وللتعامل مع طبقات الأرض الصلبة نسبياً.

أما العتلة فهي قطعة من الحديد أحد طرفيها عريض وحاد والآخر مدبب وحاد، وهي تستعمل لتكسير الصخور وحفر الآبار مع اختلاف في أحجامها(١٥).

كما أن لأدواتهم خصائص عرفوها بتقنياتها: "مِثِلْ اْلمِنشْاَر يَاكِلْ دَاخِلْ وْخَارِجْ"، وضربوا المثل في الشيء الذي يستفاد فيه من ناحيتين بالـ (الْمَحَشّ) وهي آلة قطع الحشيش والزرع، و(الْمِجْرِدَهْ)، وهي آلة نزع الشوك من عسبان النخل، وكذلك الليف، فقالوا: "مْحَشّ مِجْرِدَهْ". وقالوا: "فَرْكَةْ لَوْلَبْ"، واللّوْلَب هو المسمار الذي حفر مجراه (البرغي أو القلاووز)، وضربوا هذا المثل في السرعة والسهولة.

أما مواد البناء والتي تشمل الطين والخشب وغيرها فقد حرصوا على فهم طبيعتها وعيوبها، ففي الخشب مثلاً العُقْدَةُ (وبنه) التي تحتاج إلى معاملة خاصة وإلا فإنه لا يمكن تدبيرها: "وبْنَه ما ينْتِدبَّرْ". وأسهبوا في خواص أعواد الخشب، فقالوا: "عُوْدٍ مَا يلِيْنْ ينْكِسِرْ"، وأن العود بعد حنيه وجفافه لا يمكن حنيه مرة أخرى: "الْعود وْمَا حْني عَلَيّهْ"، وتجمع العيدان في حزم تشترك فيها خواص الأعواد، فقالوا: "عُودٍ مِنْ عَرْضْ حِزْمِهْ". وأما التّربة فأقطار حبيباتها متفاوتة، ويصل التراب إلى أقصى نعومته عندما يدعكه طرف الباب (الصاير): "أَدَقْ مِنْ تْرَابْ الصَّايِرْ".

ومن الواجب استخدام المادة في موضعها الصحيح، فالمسمار مثلاً لا يمكن أن يثبت في الشعيرات اللاصقة لجذع النخلة وعسبانها: "مِسْمَار بْليفَهْ"، لكنه يثبت إذا دق في خشبة الساج القوي: "مِسْمَار فِي لَوْحْ سًاجْ". كما أن اختيار المادة المناسبة للتصنيع ضروري؛ فإنْ

---

(١٥) المانع، عبدالرحمن بن عبدالعزيز. معجم الكلمات الشعبية في نجد: منطقة الوشم، مرجع سابق، ص ١٨٤.

عمل العقدة باستعمال الخوص (ورق عسيب النخل) لا يعطي القوة المحُكَمَة: "عَقَدٌ خُوص". وإذا فقد امرؤ الإحساس بطبيعة المادة وخصائصها فقد يستخدم وعاء الخوص (الخصفة) لحفظ الماء: "يَحَقِن في خَصُفَهْ". وتقنية التعامل مع المواد مطلوبة فإن توسيع المقطع عند قطع الخشبة يسهل قطعها: "وَسِّعْ الْمَقْطَعْ يجيكْ الْعودْ". ولدق الأجسام الصلبة لتصير ناعمة يستخدم (الكابون)، وهو قطعة متينة من الخشب في وسطها خرق يوضع في نصاب، فإن لم يوجد في تلك الخشبة الخرق انعدمت فائدتها " فْلاَنْ كَابُونٍ مَا خِرَقْ".

ب - تقنية البناء والتصنيع:

اعتمد البناؤون على الطين مادة للبناء، حيث يقومون بجمع التراب الذي يجلب من بطون الأودية، وهو ما يسمى بالطفلة (الغرين)، ثم يتم خلط التراب بوساطة الماء مع إضافة مواد مساعدة إليه، مثل: أعواد نباتات البر أو الشعير (التبن)، والتي تساعد على قوة التماسك فيه، وعدم تشققه بسبب تبخر الماء منه بطريقة بطيئة. ونظراً للحاجة إلى جفاف الطين؛ فقد استخدموا تقنية العروق؛ إذ إنهم لم يكونوا يبنون الحائط كاملاً في اليوم الواحد، وإنما يبنون متراً أو نصف متر، ثم يتركونه يجف، فمن يستطيع أن يبني عرقاً أجدر بأن لا يستهان به: "فْلاَنْ يرقيكْ مْن الجْدَارْ عِرَقْ". وقد يستعملون اللبن، ومفرده لبنة، وهي طين يخلط بالماء، ثم يوضع في قوالب خاصة بأشكال مربعة أو مستطيلة، وتجفف، ثم يقذفها العمال لمعلم البناء (الاستاد)، ليتلقفها في الهواء قبل أن تسقط، ويرصها مع باقي اللبنات، وفي ذلك يقول العامل قولاً صار مثلاً: "لِبْنَهْ يَا اسْتَادْ". ومن الضروري الحفاظ على التتابع الفني لخطوات التنفيذ، وربطها بالعامل الزمني، فبمجرد جاهزية اللبن للبناء فإن مواصلة البناء واجبة، وذلك بنقل اللبن لأعلى البيت لإكمال البناء: "مَا لَبَّنت أرَقِه". وفي التفاصيل المعمارية أكدوا على الجودة في تقنية التصنيع في

أقفال الأبواب التي يعرف رداءة تصنيعها إذا ما استطاع الغريب أن يفتحها (ينقزها) بأي مفتاح دون كسر؛ ولذلك قالوا: "فْلاَنْ بَابِهْ نَقَّازَهْ".

جـ - اليد العاملة:

الخبرة مطلوبة لجودة العمل المهني وصاحب اليد الماهرة (السّتَادْ) يتمتع بالحكمة والروية بحيث يتمكن من أداء العمل متقناً يصعب على الكثيرين مجاراته: "ضَرْبَةْ السّتَادْ عَنْ مَيَهْ". ولقد شهد رسول الله ﷺ بالمهارة لأحد أبناء منطقة نجد وهو الصحابي طلق بن علي من بني حنيفة الذي قال: "جئت إلى النبي ﷺ وأصحابه يبنون المسجد قال: فكأنه لم يعجبه عملهم، قال: فأخذت المسحاة؛ فخلطت بها الطين، فكأنه أعجبه أخذي المسحاة وعملي، فقال: دعوا الحنفي والطين؛ فإنه أضبطكم للطين"، وفي رواية: "قربوا اليمامي من الطين، فإنه أحسنكم له مساً، وأشدكم منكباً"(١٦).

وتؤكد الأمثال وجود المستويات والقدرات في التنفيذ، إذ إن الماهر يعرف كيف وأين يضرب: "ضَرْبَةْ مْعَلّمْ"، بل إن العمل الذي لم ينفذ بوساطة صانع ماهر حاذق فإن مصيره الإخفاق والفشل: "صَنْعَةْ بْلَيَّا اسْتَادْ مَصِيرَهَا لْلنَّفَادْ". ومن لم يكن كذلك فقد يكون مثل نغيمش، وهو نجار لا يحسن عمله في صنع مغلاق للباب (مجرى)، إذ إن المجرى الذي يصنعه لا يمكن أن يدخل في موضعه عند غلق الباب، كما أنه لا يمكن أن يخرج من موضعه وهو مغلق: "مِجْرَى نْغَيْمِشْ: لا يَدْخِلْ وَلا يَطْلَعْ". ولهذا وجب أن يكون المهني متخصصاً في موضوعه: "كِلّ صَنْعَةْ لها فَارِسْ"، وقالوا: "كلٌّ بصير بْمِهْنِتِه". ولقد ذكر الشويعر(١٧) مجموعة من المهن التي كانت موجودة في واحدة من

---

(١٦) لجنة مراجعة، مسند الإمام أحمد بن حنبل. الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ، ص ١٧٧٧.

(١٧) الشويعر، محمد بن سعد. فصول من تاريخ مدن المملكة العربية السعودية - ٢ شقراء. الرياض: دار الناصر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، ص ٢٥٥-٢٥٦.

بلدان نجد (شقراء) في حدود عام ١٣٧٠هـ، ونورد هنا المهن التي لها علاقة بالعمارة والعمران وعدد العاملين الرئيسيين فيها:

المدابغ ومعاملها(٨)، الخرازين(٨)، النجارين(٧)، الحدادين(٢)، الخياطين والطرازين(٣)، معامل الحجارة والجص(٤)، قطانين لصناعة الفرش والمخدات(٣)، حفارين للآبار(١٢)، الحمارين لنقل الطين واللبن والحجر(١٢)، معلم بناء(٦)، معلم نقش البيوت بالجص(٤)، مصانع لصناعة الأواني المنزلية من صفار ونحاس(٥)، معامل الحياكة(٨)، أصحاب حرف يدوية أخرى كالنسيج وفتل الحبال، وعمل الحصر وغيرها(٢٥). ولا يدخل في هذه الأرقام أولاد هؤلاء وإخوانهم الذين يعملون مع آبائهم، ويساعدونهم في مهنهم المعروفين بها، ولا الأعمال النسائية وحرفهن. وأما الأعمال النسائية ذات العلاقة فتمثلت في الخياطة والتطريز وصناعة الصوف بفتله وحياكته لعمل سجاد المنازل. وهذه الأعمال تستلزم أيضاً معرفة المواد واختيار المناسب منها والجيد، فالمرأة الخرقاء (غير الحاذقة) لا تبحث عن المادة الجيدة لإنتاج عملٍ جيد، وإنما تستعمل ما تجد: "شِغْلْ الخَرْقَا مِمَّا تَلَقَى".

كما يعمل الرجال أيضاً في حياكة النسيج، ويستعملون لذلك خشبة بداخلها خيوط (مزراق) حيث يدفعها الحائك روحة وجيئة محدثةً ترددا سريعاً دون خطأ؛ ولذا قالوا: "مِزْرَاقْ حَايكْ"، وقد جاء اسم ثرمداء - وهي من بلدان الوشم بنجد - في أبيات الشاعر الأموي حميد بن ثور إشارة إلى جودة مصنوعاتها من النسيج والبرد(١٨):

ما بال بردك لم تمسس حواشيه   من ثرمداء ولا صنعاء تحبير

---

(١٨) الميمني، عبدالعزيز. ديوان حميد بن ثور الهلالي. القاهرة: دار الكتب المصرية. ص ٨٢.

وفي مجال البناء ميزوا الجيد من الرديء، فقالوا: "بْنَا عْقَيلْ"، وذكر العبودي أن عقيلاً جماعة من تجار أهل نجد كانوا يتاجرون بالماشية من الجزيرة العربية، ويذهبون بها للشام ومصر، وكانوا إذا كَسَدت تجارة الماشية، وتعطل بعضهم عن العمل اشتغلوا بالبنيان الذي ليس لهم به خبرة، وكانت مبانيهم تنهار لعدم معرفتهم بالبناء، ويقال: إن بعضهم يقول لبعض: "أمسك الحائط؛ لئلا ينهار قبل أن نأخذ الأجرة!".

ويؤكدون على بعدٍ آخر في العمل المهني ألا وهو الأمانة والصدق، وكأن العامل يعمل الشيء لنفسه، وعندها يصل مستوى العمل المهني إلى أعلى درجاته يقولون: "شِغْلْ الرُّوحْ لِلرُّوحْ"، ولا شك أن الاتفاق الذي يتم بين المالك والعامل (المقاول) يجب أن يكون منصفاً للاثنين بحيث يضمن للمالك الحصول على عمل جيد، ويضمن للعامل أجراً جيداً أيضاً، ولهذا فإن تجربتهم في عقود المقطوعية لم تكن موفقة آنذاك، ويرون أن نتائجها أقل مستوى ومتانة من الأجر اليومي؛ لأن عمل المقطوعية يريد أن ينهيه العامل بأسرع وقت وأقل التكاليف، ولهذا قالوا في العمل الرديء: "شِغِلْ قِطُوعَهْ". ولأن للعامل المالي دوراً رئيساً في البناء فإن المبنى الذي يُبنى دون دفع نفقات وتكاليف (ببلاش) لابد أن يتصدع ويختل (يعيب) بنيانه: "مَبْنَى بَلاشْ لِزُومْ يعِيبْ"، لأن المالك لا يستطيع أن يملي شروطاً على العامل الذي عمل دون مقابل، وبالتالي بلا شروط ولا مواصفات ولا رقابة.

من أنواع المباني التقليدية:

٥- المساجد

تعد عمارة المساجد من أهم معالم العمارة الطينية التقليدية في منطقة نجد، وقد قام العديد من الباحثين في العمارة والآثار بعمل رفوعات ميدانية للعديد من مساجد المنطقة، وتتميز بمواقعها التي تمكن المجاورين من الوصول إليها (شكل٢)، ويتكون معظمها من دور أرضي وقبو (خلوة) وفناء (سرحة) ومكان الوضوء، ويستدل عليها

بمنائرها المرتفعة نسبياً عن باقي المباني المجاورة لها(١٩)، ولهذا قالوا فيمن انخفض مقامه فجأة: "مِنَ المْنَارَة، للطَّهارة"، والطهارة يريدون بها الميضأة (المكان الذي يتطهر فيه).

أما داخل المسجد (شكل٣) فيتسم بالبساطة والاستطالة المتعامدة على المحراب حيث يصف المصلون للصلاة من الجدار للجدار. ويرون مثلاً أن أحدهم سئل ليعرف هل صلى الفجر أم لا بذكر من كان على يمينه ومن كان على يساره، فأجاب تضليلاً وخداعاً بأن من اليمين شخصاً لا أعرفه (أجنبي)، أما من اليسار فجدار المسجد؛ لأني كنت ملاصقاً له: "قَالْ: مَنْ جِنِيبِكْ قَالْ: أَجْنَبِيّ وَالجْدَارْ".

شكل رقم (٣)

المسقط الأفقي للدور الأرضي والقطاع المعماري لمسجد الحسيني بشقراء(٢٠)

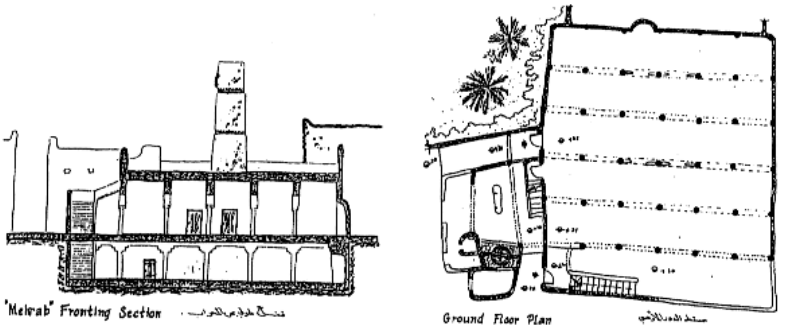

وقد كانوا يعنون بالمساجد والحرص على نظافتها وطهارتها؛ ولهذا دعوا الشخص أن يبحث عن مكان غير المسجد؛ لينام فيه لما قد يخرج منه شيء تكرم بيوت الله عنه، فقالوا: "دَوّرْ عَنْ المْسْجِدْ سَبْعَةْ مَرَاقِدْ"؛ أي: لا تعمل ذلك إلا إذا كنت مضطراً.

---

(١٩) السدحان، مساعد. والمقرن، عبدالعزيز. "مسجد الحسيني بمدينة شقراء – رفع مساحي". بحث جامعي غير منشور. الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٠٣هـ.

(٢٠) المرجع السابق.

٦- المساكن

وتمثل نسبة الغالبية العظمى للمباني في مدن نجد (شكل٢)، وتمثل الاستقرار حيث قالوا: "مِنَ المِدن، ادنْ"، وادن؛ أي: اقترب. ويفضلون الإقامة فيها على الأرياف والمناطق النائية، فقالوا: "الأطراف أتلاف".

ملكية المسكن:

لا شك أن حب التملك غريزة في الإنسان، ويحتل المسكن المقام الأول في سلم الاهتمامات الحياتية الشعبية، وللتملك والاستقرار مزاياه: "اللّي مَالِهْ دَارْ كِلْ يَوم لِهْ جَارْ". كما أن نظرتهم الاقتصادية البحتة ترى في ثمن الإيجار (الكروه) خسارة مثل خسارة المرء لدمه الذي كان من الأولى أن يستصلحه ويبقيه في جسمه: "الْكَرْوَةْ دَمٌّ فَاسِدْ". وقد يرى الناس في المسكن أكثر من مكان للسكن، ويصبح محوراً مميزاً للعديد من الاهتمامات الذاتية والاجتماعية والاقتصادية، وظهر الزهو والفخر (النماره) بعمارة البيوت: "الْعِمَاره نِمَاره، لَوْلاَ التَّعَبْ والْخسَاره". فالبناء يتطلب الكثير من المال ولهذا قالوا: "مَا يْعَمِرْ إلاَّ قِوي"؛ أي: تاجر يملك مالاً كثيراً يستطيع أن ينفقه على شؤون البناء، وقد جاء في الرواية التقليدية أن إحدى النساء التي شكت إليها صديقتها بأن لديها نقوداً كثيرة لا تدري كيف تنقصها، فأجابت الأولى بقولها: اهدمي حائطك ثم ابنيه: "قِضِّي حَوِيّكْ وابْنِيَهْ".

وتظهر سمات الثراء على المسكن التقليدي في جوانب مختلفة، مثل: السعة والرحابة في عناصر المسكن وأفنيته، وفي النقوش والزخارف الداخلية والخارجية، وطرائق البناء مثل الأقواس والقباب والأفنية، كما تظهر في ارتفاعات المباني واستخدام مواد بناء ذات مظهر بناء لائق⁽²¹⁾. ولأهمية السعة في المسكن قالوا: "سعة المسكن

---

(٢١) الحصين، محمد عبدالرحمن. وهارون، عبدالحكيم عبدالوهاب. صور من التراث المعماري. الرياض: المؤلف، ١٤٢٣هـ، ص ٢٢.

من سعة الرزق". وإذا كان مسكن المرء صغيراً فإن ما لديهم من قناعات توجه مفهوم السعة والضيق، فقالوا: "الضّيّق بالْقِبور"، والراحة النفسية هي الأهم حتى لوكانت في الغرفة الصغيرة (العشة) التي تقام بالخشب، وتسقف بالجريد والخوص، فهي أفضل من المكان الفخم الضخم الذي لا يرتاح فيه صاحبه: "عِشّه تِضْحَكْ فيهَا، وَلاَ قَصْر تَبْكي فيِهْ". ولكن الاهتمام بداخل المسكن وتصميمه وما يشمل ذلك من ترتيب للأثاث وتنظيف يمكن أن يؤثر على مظهر المنزل ويجعله يبدو أكبر: "اكْنِسِي بَيْتكْ يَكْبَرْ، واغسلِي رِجِلكْ تَصْغَرْ".

بعض عناصر المسكن وتفاصيله:

يلحظ على المسكن التقليدي في منطقة نجد البساطة في توزيع العناصر، والمراعاة للعادات والتقاليد الاجتماعية، ويمتاز بالكفاءة والتعدد في استعمال فراغاته وخصوصاً الصغيرة منها، إذ تصل الكفاءة إلى أعلى مستوياتها، وذلك بجمع أمور عدة حيث يتم استعمال المكان الواحد للنوم (المسدح) وللجلوس والحديث (المردح) وقالوا: "المَسْدَحْ وَالمَرْدَحْ"؛ أي: المكان الوحيد للراحة والعمل. ومن عناصر المسكن ما يأتي:

الجصّة: وهي بناء من مادة الجص يستعمل لخزن التمر، ويقرب ارتفاعه من المترين، أما أبعاده فمتفاوتة. وترمل (تفرش) أرضيته بعذوق النخل المشبكة؛ لتصبح كالحصير، وتسمح بمرور الدبس الذي يخرج عند ضغط التمر بعضه على بعض. وقالوا بأن من لديه مداً من تمر يعيش، وأن من لديه رميله (جصة) تحوي مئات الأمداد يعيش أيضاً: "يعيش أبُو مِدّ مَعْ أبُو رِميله".

المطبخ: مكان التجهيز للطعام وإعداده، حيث يتم استعمال الحطب أو ما شابهه لتوليد النار للطبخ ويتم عمل فتحة (فرجة) التهوية في نافذته التي تتسخ وتتحول - بسبب الدخان - إلى لون أسود، ولهذا قالوا في الشيء المكروه المستقذر: "فِرْجَةْ مَوْقَدْ".

التنور: وعاء من الطين يتم صنعه خارج البيت من الطين الغرين بشكل أسطواني، ومن ثم يتم نقله إلى ركن في المطبخ حيث يوضع في حفرة، وتدفن جوانبه الخارجية، وتملأ بالملح والرماد لتحتفظ بالحرارة مدةً أطول، وعند الحاجة إليه للطبخ يوضع بداخله حطب، ويوقد فيه، فإذا جمّر الحطب يتم الخبز فيه. وحذروا المرء بأن لا يفرح إذا استعجلت أمه وأخرجت الخبز أو ما شابهه قبل استوائه، فقالوا: "لا تَفْرح بعجلة أمك على التنور"، إذ قد تخرج ما بداخل التنور فيكون عجينا لم ينضج بعد. فمن أساسيات الطبخ استعمال التنور بعد إسخانه، ويكون ذلك أدعى لنضج الخبز، فقالوا: "احم التَنور يَنْجض القرص".

الطَّايَهْ: سطح المسكن وهي جزء من البيت، وقالو: "أَبْعَدْ ما يَاصَلْ لِلطَّايَهْ"، وبما أنها سقف للدور الأرضي فمن الجنون عندهم أن يزرع أَحدٌ فيها للانتفاع، أو من يُقرض (يدين) من سيقوم بزراعتها: "ما هي بالشّرْهه على اللّي يَزرَعْ بالطَّايْه، الشَّرهَهْ على اللّيَّ يْدَيِنهْ". ومثله قولهم: "مِثل زرّاع طاية". يقول عبدالله بن سبيل(٢٢):

راعي الهوى كذاب وبليس ما مات وكثر التمني مثل زراع طاية

الدور العلوي: نظراً لتقنية البناء المتوافرة لديهم؛ فقد أمكن تشييد المساكن بأكثر من دور، بحيث تستخدمه العائلة للنوم، وقد يحرص البعض على اختيار بعض فراغات الطابق الثاني لتخزين الحبوب والقمح إبعاداً لها عن النمل الأبيض (الأرضة) ونحوها، وصاحب المخزون الكبير ثري، ومبالغة في ذلك أشاروا بأن ما لديه من كميات الحبوب والقمح قد يؤثر على سلامة المبنى، فيكسر جسور الخشب التي تسقف الدور الأرضي: "عِنده مالٍ يْكسّر الخْشَبْ".

---

(٢٢) ديوان عبدالله بن سبيل. الأزهار النادية من أشعار البادية. الطائف: مكتبة المعارف، ١٣٨٠هـ، ص ٣٠.

الروشن: وهي الغرفة تكون في أعلى البيت (الدور العلوي)، أما الصَّفَّة فهي الغرفة في أسفل البيت (الدور الأرضي) فإذا أصيب (طاح) جانب منها تعدى إلى الجانب الآخر، وفي ذلك قالوا: "طاَحْ الرَّوْشَنْ عَلَى الصَّفَّهْ". وقد أورد القويعي[٢٣] أبياتاً ذكر فيها الروشن:

ما شفت سعدية وثنوى وثنتين   في روشنٍ محلا طمامه وبنيه

ولمحسن الهزاني قوله:

روشن هيا له فرجتين شمال   باب مع القبلة أو بابٍ مع الشرق

الدَّرجة: نظراً لأنهم بنوا مساكنهم بأكثر من طابق؛ فقد بنوا الدرج للانتقال من الدور الأرضي إلى العلوي أو للهبوط من الأعلى للأسفل (تحويل)، وقالوا: "تِحَويل مِنْ أوَّل الدَّرجة ولا تحويل من عْلُوَّها".

المِرْزَامْ: قناة تصنع من جذوع النخل أو الأثل تثبت في فتحة عبر الحائط من سطح المبنى لتصريف مياه المطر. ويكون تركيز وكمية الماء النازلة منه أكثر من باقي الأماكن. فمن فر من شدة قد يقع فيما هو أشد منها مثل الذي: "فَرْ مَنْ الْمطَرْ وَوَقَف تَحْت الْمِرْزَامْ". ولكل بيت مرزام أو أكثر بحسب مساحة السطح ومقدار الميول فيه، فإذا أجدبت الأرض، ونزل المطر بعد جفاف؛ فيستطيع كل شخص أن يتلقى السيل الذي يصب من مرزام بيته: "يَوْم السَّيْلْ كِلٍّ يْتَلَقَّى مِن مِرْزَامه"، وقالوا: "ما حَدْ يعيِر مِرزامه وَقت المطر".

الْبِرْجْ: موضع قضاء الحاجة (الحمام)، ويكون في سطح المنزل ومتصل إلى الأرض بقناة رأسية تجتمع الفضلات في أرضيتها، ويرون في تصميمها وبنائها فروقاً يفضل بها برج على آخر، فقالوا: "الْعِزْ زَيْنٍ لَوْ فِي الْبْرُوجْ"، ولكن البرج يبقى برجاً؛ إذ إن عفنه

---

[٢٣] القويعي، محمد عبدالعزيز. تراث الأجداد - دراسات لجوانب مختلفة من تاريخ مأثوراتنا الشعبية (الجزء الثاني). الرياض: المؤلف، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

يخرج إذا حرك، وذهبت به الريح، فقالوا: "فْلاَنْ مِثِلْ الْبِرْجْ مَا يِنْتَحَرَّكْ".

الباب: للدخول والخروج، وقد استعمل الباب وما يتصل به كمحور رمزي متعدد الدلالات، كما أن الوظيفة الأساسية للباب هي حفظ حرمات أهل المسكن: "ادْخُلُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابها"، ولهذا فإن الذي يدخل طبيعياً ويخرج بشكل غير مقبول ولا طَبَيعي قالوا عنه: "مَنْ الْبَاب لِلطَّاقَهْ". ونظراً لأهمية الباب في رد غير المرغوب في دخوله فإن: "البابْ رخيص بثمنه" ولو كان كثيراً وكيف لا يكون كذلك فـ : "الباب رَدَّ اللّي صَنْعَهْ" يقصدون النجار من الدخول، وباب الكرام مفتوح دائماً يرتكز على الطرف الطويل (الصاير) منه لا يقفل: "بَابْ الْكِرامْ عَلَى صَايْرَهْ".

ويرتبط مستوى الباب في التصميم والتنفيذ بمستوى المسكن: "ذَا الْبَابْ عَلَى قَدرْ ذَا الْخَرَابْ". وتستخدم عادة الأخشاب الثقيلة لصناعة الباب، مثل: الأثل وما شابهه لتوفير القوة والحماية، وقد تستخدم أخشاب الأثل في الأطراف وألواح من جذوع النخيل في الوسط؛ لأن استعمال أخشاب أخرى مثل: القصب يصبح معها الباب خفيفاً ضعيفاً لا يتحمل الصدمات، ويمكن لأي شيء أن يحركه ويفتحه (يهجه) ويغلقه: "بَابْ قِصَبْ يِهِجَّه الْهَوَا".

ومن مكونات الباب ما يأتي:

الحلقة: وهي حديدة مدورة توضع في الباب ليقرع بها؛ فيعلم من بداخل البيت أن لدى الباب أحداً ما، كما يمسك بها الباب عند فتحه أو قفله، وقالوا: "كِلْ بَابٍ فيهْ حَلْقَهْ".

المفتاح: الذي يقوم النجار بتصميمه وتنفيذه مع ما يناسب معه من قفل: "كِلْ بَاب لَهْ مِفْتَاحْ". وإذا تعذر فتح الباب فإن المحاولة والمعالجة (القرقعة) للمزلاج تسبب فتحه: "كِثْر الْقَرْقَعة يِفْتَح الْبَابْ".

الصاير: أسفل طرف الباب الذي يدور أعلاه. وهو أيضاً أقصى ما ينتهي إليه الباب أو يستند عليه إذا فتح، وقالوا: "وِقَفَ البَّابْ على صَايِّره"؛ أي: الحد الذي لا يمكن أن يفتح زيادة عليه.

خاتمة

لقد أمكن عن طريق هذه الدراسة توظيف الأمثال الشعبية لفهم أكبر للعمارة والحرف المرتبطة بها في منطقة نجد. وهي خطوة أولى من خطوات استيعاب التراث واستقرائه للاستلهام والاستنباط منه، واتضح من ذلك الثراء والتمكن المهني في العمارة والفنون المرتبطة بها، وتقديم صورة لمعطيات العمارة التقليدية؛ لتكون تكملة للطرائق الأخرى في التعرف على التراث المعماري والمهني التقليدي في منطقة نجد.

وتفتح الدراسة باباً لدراسة العمارة التقليدية عن طريق الأمثال الشعبية بصفة خاصة، وعن طريق الأدب الشعبي بصفة عامة بصوره المختلفة من أشعار وقصص وغيرهما. إذ يصبح من الممكن تأصيل العمارة التقليدية في مناطقها المختلفة بالمملكة العربية السعودية وفي العالم العربي، وإيضاح الخصائص والميزات المستقلة والمشتركة بينها، وتحليل عناصرها ورموزها المختلفة بزاوية ليس من الممكن الحصول عليها بالطرائق الأخرى.

ملحق بالأمثال الشعبية الواردة في الدراسة مرتبة حسب تسلسلها مع الإشارة إلى مراجعها(٢٤):

١- مفاهيم في الإنشاء المعماري (Structure)

١ - "مِثْلْ اللّي يَبْنِي عَلَى الرَّمِلْ" (ج٧/٦٤٨١/٢٧٣).

٢ - " بَان على عَزَا" (ج٢/١٢٢١/١١).

٣- "مَبْنًى عَلَى غَيْرْ سَاس لاَ بدَّهْ يطيحْ" (ج١٠/٨٩٠٥/٣٠٤).

٤ - "حَصَاةْ رْزاحْ مَا تَنْشَال وَلاَ تِتْزَاحْ" (ج٢/١٩٧٦/٢٨٠).

٥ - " الْفَاسْ يَعَرْفْ الصَّفَا" (ج٥/٤١٧٢/٤٦).

٦ - " يَضْرِب بْصُفَا" (ع٥/٢٨٩٧/١٧٤٢).

٧ - "مَسْحَاتِي مَا قِدَّامْهاَ طِينْ" (ج٨/٦٨٢٧/٥٩).

٨ - "ما عَلَى الصُّفَا مَبْارِكْ" (ع٣/١٩٧٨/١٢١٦).

٩ - "اللّي عَلَى جْرَيْفٍ يِنْهَدْ" (ج١/٨٦٧/٣١٤).

١٠ - "فْلَانْ يْرَامِحْ الجِدْرَانْ" (ج٥/٤٥٧٧/١٩٢).

١١ - "طَاح طَيّحِة جْدَارْ" (ع٢/١٢٠٤/٧٦٢).

١٢ - "الْهَوَا يْجَدّع الجِدران" (ع٤/٢٦٨٠/١٦٠٧).

١٣ - "لاَ تَنَمْ فِي ظْلَالٍ العِيّب في جَدَارهْ" (ج٦/٥٤٢٠/١٩٥).

١٤ - "فْلَانْ سَارِيّة مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدْ" (ج٥/٤٣٤٠/١١٠).

---

(٢٤) يهدف الملحق إلى إيراد جميع الأمثال التي وردت في البحث مع ذكر مراجعها مثل: ج٧/٦٤٨١/٢٧٣؛ حيث يشير الحرف (ج) إلى اسم المرجع، ويشير الرقم الذي بعده (٧) إلى رقم المجلد، وهو هنا المجلد السابع، بينما يشير الرقم الأوسط (٦٤٨١) إلى رقم المثل في المرجع المذكور، ويشير الرقم الأخير (٢٧٣) إلى رقم الصفحة في المرجع المذكور. ولهذا فإن أسماء المصادر للحروف الواردة هي: (ج) الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب للجهيمان، (ع) الأمثال العامية في نجد للعبودي، (ي) المختار من أمثالنا الشعبية للعيسى، (س) السماع من كبار السن.

١٥ – "الطُّولْ عِزّ وَلوْ فِي الخشَبْ" (ج٤/٣٥٦٥/٢٦١).

١٦ – "طَامّ لِهْ عَلَى قَصَبْ" (ج٤/٣٤٧٥/٢٢٦).

٢- مفاهيم في التصميم المعماري (Architectural Design)

١٧- "قَصْرٍ مَا لِهْ ظْلاَلْ جعْلِهْ يَنْهَدِمْ" (ج٥/٤٨٤٢/٢٩٢).

١٨ – "جْدَارٍ قصيرْ كلّ يَطمْرَه" (ج٢/١٧٠٨/١٨٣) .

١٩ – "فْلاَنْ جْدَارٍ قْصَيّرْ" (ج٥/٤٢٩٤/٩٢).

٢٠- "مَا كبرْ سَطْحِهْ كبرْ مجَببَّهْ" (ج٧/٦٠٨٠/١٢١).

٢١ – "اللّي يْظَلّلْ بالشّتَاء مْهَبُول" (ع١/٢٨١/٢٠٥).

٢٢ – "كلّ عَلَيه مِن الزَمانْ واكِفْ" (ع٣/١٦٧٥/١٠٥١).

٢٣ – "مَا تمِتلِي وَالنَّقْص فِي سَارُوبْهَا" (ج٧/٥٨٦٩/٤٢).

٢٤ – " النَّزّ مْنَ الدّزّ" (ع٤/٢٥٠٥/١٥٠٥).

٢٥ – "الجفِرْةْ الطَّامْنهْ مَا يِيبَس ثَرَاها" (ج٢/١٧٧٧/٢٠٥) .

٣ - مفاهيم في التخطيط العمراني (Urban Planning)

٢٦ – "فْلاَن بْعِيرْ مجَابيبْ" (ج٥/٤٢٧٤/٨٦).

٢٧ – "ضَارْب سِكّةٍ سَدْ" (ج٤/٣٣٣٩/١٦٨).

٢٨ – "الْعايِرْ رَجَّالْ" (ع٢/١٢٥٨/٨٠٠).

٢٩ – "حَصَاةٍ زَلَّتْ عن دَرْب المسْلِمِين" (ع١/٦١١/٤٠٠).

٣٠ – "مِنْ جِرْفٍ لعَدَامهْ" (ع٤/٢٣٤٨/١٤٠٨).

٣١ – "مِنْ جِرْفٍ لدحديرا" (س).

٣٢ – "يْطامِر الجِرْفَانْ" (ع٥/٢٩٠٢/١٧٤٥).

٣٣ – "خزِّ جْدَارِكْ، وْلاَ توذي جَارِكْ" (ع٢/٧١٢/٤٦٣).

٣٤ – "طَوَّلْ جْدَارِكْ وَلاَ تَتَّهِمْ جَارَكْ" (ج٤/٣٥٧٠/٢٦٢).

٤ - الجودة في التنفيذ (Quality Control)

أ - الأدوات والمواد:

٣٥ - " قَالْ: أَنَا مِفْرَاصْ الحْديدْ قَالْ: أَنَا تِيكْ اللّي تْوقّعْ فَوْقْهَا" (ج٥/٤٦٨٦/٢٣٥).

٣٦ - "فْلَان مِفْرَاصْ مَاصْ" (ج٥/٤٥٠٨/١٦٨).

٣٧ - "اضْرِبْ الجْازْ بالجْازْ" (ج١/٤٣٩/١٧٤).

٣٨ - " مِثِلْ اْلمِسْحاتْ بْلاَ حْرَانْ" (ج٨/٦٧١٥/١٧).

٣٩ - "مِثل المسْحاَة مَعْ الْبَدُوْ" (ع٤/٢٢٠٠/١٣٢١).

٤٠ - "فَارُوع مَقبَرَهْ" (ج٥/٤١٧٠/٤٦).

٤١ - "مِثِلْ اْلمِنشْاَر يَاكِلْ دَاخِلْ وخاَرِجْ" (ج٨/٦٧٢٤/٢٠).

٤٢ - "مْحَشّ مِجْرِدَهْ" (ج٨/٦٧٦٥/٣٥).

٤٣ - "فَرْكةْ لَوْلَبْ" (ع٣/١٤٤٨/٩١١).

٤٤ - "وِبْنَه ما ينْتِدبَّرْ" (ع٤/٢٥٧٣/١٥٤٣).

٤٥ - "عُوْدٍ مَا يلينْ ينْكِسرْ" (ع٢/١٣٨٨/٨٧٤).

٤٦ - "الْعود وْمَا حْني عَلَيْهْ" (ع٢/١٣٩٠/٨٧٥).

٤٧ - "عُودٍ مِنْ عَرْضْ حِزْمهْ" (ع٢/١٣٨٩/٨٧٥).

٤٨- " أَدَقّ مِنْ تْرَابْ الصَّايِرْ" (ج١/١٩٠/٨٩).

٤٩ - "مِسْمَارٍ بْليفَهْ" (ج٨/٦٨٣٦/٦٢).

٥٠ - "مِسْمَارٍ فِي لَوْحْ سَاجْ" (ج٨/٦٨٣٧/٦٢).

٥١ - "عْقَدْ خُوصٍ" (ع٢/١٣٢٤/٨٤٠).

٥٢ - "يْحَقِن في خْصُفَهْ" (ع٥/٢٨١٦/١٦٩٤).

٥٣ - "وَسّعْ الْمْقْطَعْ يجِيكْ الْعودْ" (ج٩/٧٧٠٠/٣٦).

٥٤ - "فْلَانْ كَابُونٍ مَا خِرْقْ" (ج٥/٤٤٢٣/١٣٩).

ب - تقنية البناء والتصنيع:

٥٥ - "فْلَانْ يِرقيكْ مِنْ الجْدَارْ عِرْقْ" (ج٥/٤٥٧٦/١٩٢).

٥٦ - "لِبْنَهْ يَا اسْتَادْ" (ج٦/٥٥٨٦/٢٦٢).

٥٧ - "مَا لَبَّنت أرْقه" (ع٣/٢٠٢٥/١٢٣٩).

٥٨ - "فْلَانْ بَابِهْ نَقَّازَهْ"(ج٥/٤٢٧٧/٨٧).

جـ- اليد العاملة:

٥٩ - "ضَرْبَةْ السْتَادْ عَنْ مْيَهْ" (ج٤/٣٣٩٠/١٨٨).

٦٠ - "ضَرْبَةْ مْعَلّمْ" (ج٤/٣٣٧٣/ ١٨١).

٦١ - "صَنْعَةٍ بْلَيَّا اسْتَادْ مَصِيرَهَا للنَّفَادْ" (ى٢/١٥٠٢/٤٥٥).

٦٢ - "مِجْرَى نْغَيْمشْ: لا يَدْخِلْ وَلا يَطْلَعْ" (ع٤/٢٢١٠/١٣٢٧).

٦٣ - "كِلّ صَنْعةٍ لِها فَارِسْ" (ع٣/١٦٧١/١٠٤٩).

٦٤ - "كلّ بصيرٍ بْمِهْنِتِه" (ع٣/١٦٢٦/١٠٢٦).

٦٥ - "شِغْلْ الخرْقًا مِمَّا تَلْقَى" (ج٤/٣٠٨٠/٥٩).

٦٦ - "مِزْرَاقْ حَايِكْ" (ج٨/٦٨٢١/٥٦).

٦٧ - "بْنَا عْقَيلْ" (ع١/٤٢٢/٢٨١).

٦٨- "شِغْلْ الرُّوحْ لِلرُّوحْ" (ج٤/٣٠٨١/٥٩).

٦٩ - "شِغِلْ قِطُوعَهْ" (ج٤/٣٠٧٩/٥٩).

٧٠ - "مَبْنى بَلاشْ لِزُومْ يعِيبْ" (ج٧/٦٤٥٠/٢٦٠).

٥ - المساجد:

٧١ - "مِنَ الْمْنَارَةْ، للطَّهارة" (ع٤/٢٣٢٦/١٣٩٧).

٧٢ - "قَالْ: مَنْ جنِيبكْ قَالْ: أَجْنَبِيّ وَالجْدَارْ" (ج٥/٤٧٤٣/٢٥٥).

٧٣ - "دَوّرْ عَنْ الْمَسْجِدْ سَبْعَةْ مَرَاقِدْ" (ج٣/٢٤٤١/١١١) .

٦ - المساكن:

٧٤ - "مِنَ المدن ادنْ" (ع٤/٢٣٢٥/١٣٩٧).

٧٥ - "الأطراف أتلاف" (س).

ملكية المسكن:

٧٦ - "اللّي مَالِهْ دَارْ كلِّ يوم لِهْ جَارْ" (ج١/٩٠٨/٣٢٨).

٧٧ - "الْكَرْوَةْ دَمٍّ فَاسِدْ" (ج٦/٥٠٢٨/٣٨).

٧٨ - "الْعمارَه نِمَاره لَوْلاَ التَّعْبْ والخْسارَه" (ع٢/١٣٦٩/٨٦٤).

٧٩ - " مَا يْعَمِرْ إلاَّ قِوي" (ج٧/٦٣٨٥/٢٣٦).

٨٠ - "قِضِّي حَويّكْ وابْنَيّهْ" (ع٣/١٥٤٥/٩٨٠).

٨١ - "سعة المسكن من سعة الرزق" (س).

٨٢ - "الضّيق بالْقْبور" (ع٢/١٢٠٠/٧٥٧).

٨٣ - "عِشّه تِضْحَكْ فِيهَا، وَلاَ قَصْرٍ تَبْكي فِيهْ" (ج٤/٣٧٦٩/٣٤٧).

٨٤ -"اكْنِسِي بَيّتكْ يَكْبَرْ، واغْسِلِي رِجلكْ تَصْغَرْ" (ع١/١٦٦/١٣٢).

بعض عناصر المسكن وتفاصيله:

٨٥ -"المْسَدَحْ وَالمْرْدَحْ" (ج٨/٦٨٣١/ ٦٠).

٨٦ - "يِعيش أبُو مِدّ مَعْ أبُو رِميله" (ع٥/٢٩١٨/١٧٥٥).

٨٧ - "فِرْجَةْ مَوْقَدْ" (ج٥/٤١٩٢/٥٤).

٨٨ - "لا تَفْرِح بِعجلة أمك على التنور" (ع٣/١٧٤٧/١٠٨٨).

٨٩ -"احم التَنور يَنْجض القرص" (ج١/١٥١/٧٨).

٩٠ - "أَبْعَدْ ما يَاصَلْ لِلطّاَيَهْ" (ج١/٣١/٣٢).

٩١ - "مـا هي بالشّـرْهه على اللّي يَزرَعْ بـالطَّايْه، الشَّـرهَهْ على اللـيَّ يْدَينِهْ" (ع٣/٢٠٩٤/١٢٦٨).

٩٢ -"مِثل زرّاع طاية" (س).

٩٣ - " عِنده مال يْكسّر الخْشَبْ" (ع٢/١٣٨١/٨٧١).

٩٤ - "طَاحْ الرَّوشَنْ عَلَى الصَّفَّهْ" (ج٤/٣٤٤٩/٢١٥).

٩٥ - "تْحَويل مِنْ أوَّل الدَّرجة ولا تحويل من عْلُوَّها" (ع١/٤٥٧/٣٠٤).

٩٦ - "فَرْ مَن الْمطَرْ وَوَقَف تَحْت المرْزَامْ" (ج٥/٤٢٠٩/٦١).

٩٧ - "يَوْم السَّيّلْ كِلٍّ يْتَلَقَّى مِن مِرْزَامه" (ع٥/٢٩٨٣/١٧٩٦).

٩٨ - "ماحَدْ يعير مِرزامه وَقت المطر" (س).

٩٩ - "الْعِزْ زَيْن لَوْ فِي الْبْرُوجْ" (ج٤/٣٧٢٤/٣٣٠).

١٠٠ - "فْلاَنْ مِثِلْ الْبرِجْ مَا ينْتَحَرَّكْ" (ج٥/٤٤٧٤/١٥٦).

١٠١ - "ادْخْلُوا الْبْيُوتَ مِنْ أَبْوابِها" (ج١/١٨٨/٨٨).

١٠٢ - "مْنِ الْبَاب لِلطَّاقَهْ" (ج٨/٦٩٨٦/١١٩).

١٠٣ - "البابْ رِخيص بثمنه" (ع١/٣٥٣/٢٤٤).

١٠٤ - "الباب رَدَّ اللّي صْنَعَه" (ع١/٣٥٤/٢٤٤).

١٠٥ - "بَابْ الْكرامْ عَلَى صَايْرَهْ". (ج٢/١٢٠٦/٦).

١٠٦ - "ذَا الْبَابْ عَلَى قَدرْ ذَا الخرَابْ" (ج٣/٢٤٦٣/١٢١).

١٠٧ - "بَابْ قِصَبْ يهجَّه الْهَوَا" (ج٢/١٢٠٨/٧).

١٠٨ - "كِلْ بَاب فيهْ حَلْقَهْ" (ج٦/٥٠٨٦/٥٩).

١٠٩- "كِثْر الْقَرْقَعة يفْتَح الْبَابْ" (ع٣/١٥٩٢/١٠٠٧).

١١٠ - "وِقَفَ البَابْ على صَايْره" (ع٤/٢٦١٤/١٥٦٦).